Ο τελευταίος από τους Φαραώ

آخر الفراعِنة

محمود عاطف

تبدوا الحياة وكأنها شخص قويّ البُنيان، لا يهاب شيئًا، يدافع عن نفسه بكل قوته، ويجازف للفوز طوال مسيرته؛ بينما الموت دائمًا يأتي كشخص هزيل، لا يستطيع التحرك قيد أنملة، وإن فعل سوف يسقط صريعًا حتمًا، ومع ذلك الموت أقوى بكثير من الحياة، يستطيع دحرها بكل سهولة..

هكذا دائمًا نرى الحياة والموت، مع أننا ننسى كثيرًا أن الضعيف في معظم الأحوال عندما يقتص من القوي، يقتص ببأس شديد دون رأفة به..

فهل هناك سبيل لدحض هذا الأمر وعكس ما تصبوا إليه، والارتقاء بالحياة لما هو أسمى من الموت؟!

شتَتت تلك الذكريات عقلها، أثرت الصمت عَلها تنقشع تدريجيًا، لكنها أبت ذلك فثمة دروب مظلمة خير للعقل ألا يجتازها.. كانت الذكرى الوحيدة التي جعلتها أُنثى فقدت بريقها في شبابها، لم تعلم كيف اجتازت تلك الحياة بِحلوها ومُرها، تلك الذكرى كانت تحديدًا في مساء العاشر من حزيران سنة 323 ق.م، في هذا اليوم الذي أصبح كل شيء باهتًا إلى حد القتامة.

لم يكن جمالها بالصارخ الذي تَذهل له العقول عند رؤيته؛ إلا أن سحر وجودها كان لا يمكن مقاومته بأي شكل، كانت تحث الخطى بقوامها الممشوق وشعرها الذهبي المُسدل بنعومة بالغة، والذي يصل لمنتصف ظهرها تقريبًا، ذو عينين بنيتين قابعتين في وجه مليح يبرز منه أنف مدبب، يلتف حولها وشاح ملكي أسفله تنورة زهرية اللون، وفوقها قميص أبيض مطرز بالذهب الخالص، يحوط عنقها سلسلة

بها زمرد قاني الحُمرة، ويحوط رَسغها بضع مجوهرات لامعة في ضوء الشمس.

بعد وابلٍ من التحيات الملكية التي تسقط عليها من ألسنة المارة –والتي تبغضها بشدة– وقفت مشدوهة عند بوابة القصر الأمامية، تشعر بكآبة الطقس، كأنه يُخبرها بأن هناك شيء سيء سيحدث.

برزت تطلعات ملوك العصر البابلي الحديث من بين أعداد المعابد الكثيرة التي تجاوزت الألف معبد بنوعية خاصة من الأبنية المحصنة عُرفت "بأبنية القصور"، التي تعود مرجعيات أنظمتها المعمارية إلى أنساق القصور السومرية والأكادية والبابلية القديمة، والتي انبنت على تكرار وحدة معمارية ثابتة.. كانت تتألف من ساحة مكشوفة محاطة بصفوف من الغرف لتكوين مبنًا معقدًا يتألف من عدد كبير من المرافق البنائية والفضاءات المعمارية، وبشكل عام تمتاز قصور مدينة بابل بمخططات أرضية منتظمة وأشكال متناسقة في التناسب المعماري، فلكل منها مدخل مُحصّن يؤدي إلى عدد من الساحات المكشوفة المحاطة بالفرق التي تنفتح إحداها على الأخرى عدة مرات يوميًا.

تتضاعف أعداد الغرف ويزداد بناء القصر ضخامة وتعقيدًا وبما يفي الحاجة لتهيئة فضاءات معمارية لاستقبال الوفود الأجنبية، وعقد الاجتماعات الإدارية مع حكام الأقاليم، وخزن الغنائم الحربية، وسكن العائلة المالكة.

يمثل قصر (نبوخذ نصر) الرئيس في مدينة بابل المعروف بالقصر الجنوبي مدينة قائمة بذاتها، ويحتل مركز المدينة وينفتح ضلعه الشمالي الشرقي على شارع الموكب، وتبلغ مساحته "52" ألف متر مربع، وقد وصف الملك (نبوخذ) عملية بنائه قائلًا: «أنا من وضعت أسسه الصلبة.. ورفعته بعلو الجبال.. وأنا أمرتُ بجلب الأرز العظيم ليمتد على طوله لأجل سقوفه.. ووضعت في أبوابه المصارع من الأرز المغطّى بالنحاس.. والمداخل والمحاجر من البرونز، وجمعتُ فيه الفضة والذهب والأحجار النادرة، وكل ما يصبو إليه الخيال من الأشياء الثمينة.. وخزنتُ ثروة طائلة من الكنوز الملكية فيه».

يتميز المخطط المعماري للقصر على شكل مستطيل غير منتظم، ويتألف من خمس ساحات مكشوفة تنفتح إحداها على الأخرى، ويضم مِئَتي غرفة مختلفة الحجوم والوظائف.

ولجتُ من بوابة القصر التي تُعرف باسم (بوابة السيدة) التي تنفتح على عدد من الغرفة لإقامة سرية الحراسات الملكية، ومن ثَم تؤدي الدهاليز المعمارية الضيقة إلى الساحة الأولى بغرفها الكبيرة التي أفصحت وثائقها الكتابية القانونية إلى أنها تُعد قصرًا لمحاكم الدولة. وصلتُ بعدها إلى الساحة الثانية بعدما اجتزتُ جمهرة القضاة والشرطة – بشق الأنفس – أصبحتُ بمواجهة فضاءً معماريًا يؤكد ترتيب مرافقة البنائية إلى أنه مكانًا لاستقبال الناس من قبل الملك، ولحل مشاكلهم المتنوعة على وفق جدول زمني خاص ومنتظم.

عبرتُ مسرعةً من قاعة العرش والتي تطل على الساحة من خلال ثلاثة مداخل، يقابلها في الجدار الخلفية حنية تمثل موضع العرش الملكي، وطليت جدرانها بطبقة من الجبس الأبيض اللماع، فيما زينت واجهتها المطّلة على الساحة بجدارية خزفية تعد من أروع المنجزات الخزفية التي أبدعتها حضارتنا البابلية.

يهيمن على تكوين الجدارية الخزفية أربع من أشجار النخيل غُرست في مركز الجدارية بجذوعها البرتقالية اللون، التي استحالت إلى أعمدة معمارية بفعل ضغط الخاصية المعمارية للمكان على تكوين الجدارية، فيما حُورت سعفاتها الست الى ما يشبه الأشكال الحلزونية الزرقاء اللون، التي تفتحت بنوع من الأزهار البرية بيضاء اللون ذات المراكز الصفراء، وربطت أشجار النخيل العملاقة بزخرفة نباتية عمادها التفافات متنوعة ومتشابكة من البراعم النباتية.

يعلو نسق أشجار النخيل افريز خزفي يتألف من عشرة من أشكال المعينات المترابطة، التي تفتحت بذات الزهور البرية البيضاء اللون، وعقدت إلى بعضها بنقاط صفراء اللون، وأغلق المشهد بمستطيل منتظم محشو بأشكال زخرفية نباتية.

تحركتْ خارج حدوده السفلى نسق من أشكال الأسُود –بنوع من المَسير الأسطوري– مخترقة السطح البصري للجدارية من اليمين الى اليسار –بالنسبة للمتلقي– وأُطر المشهد لكليتهِ بشريط خزفي من أشكال الأزهار، وتوجت الجدارية بحلية معمارية تتألف من أشكال الأهرام المدرجة الصغيرة بغِية تحريك الصمت المعماري للحدود العليا للجدارية.

كان هناك على السطح البصري للجدارية منظومتان من الأشكال الرمزية، تألفت الأولى منهما من نسق أشجار النخيل وحزم الوريدات البرية التي برزت من بساتين وسهول الحلة لتتحول بفعل التأويل الإبداعي للفن البابلي إلى منظومة رمزية تعبّر عن مفاهيم الخصب والتجدد وديمومة الحياة، يقابلها رَتلٌ من الأسُود عُهدَ إليها حماية قوة أو إعادة حيوية الطبيعة وتجدد الحياة، بوصفها الرمز الذي يُدلّل على حضور الإلهة (عشتار) تلك الإرادة الماورائية التي وَضعت على عاتقها حماية مدينتها الخالدة وتحقيق الرخاء في ربوعها.

وإلى جوار هذه الثنائيات الرمزية المتفاعلة في بنية النص البصري كان عرش الملك (نبوخذ نصر) بعّدة قوة الحماية الأرضية القادرة على تحقيق الدور السحري للأشكال على ضفتي مدينتهِ السعيدة.

دلفتُ للغرفة المجاورة للعرش والتي كانت لا تقل جمالًا عن منحوتات القصر اللامعة، لكن كانت الكآبة والحزن القابع في القلوب قد أفضى على المكان برمته، وأصبح المكان شبه حيًا.. كان يرقد على سرير الموت – كما أطلقوا عليه – الملك (الإسكندر الأكبر) الذي كان يصارع الموت، لكن لم ينجوا أحد قبلًا وهو يصارعه فهو قوي دون عتاد، ورشيق دون جسد.

خرجت منها تنهدت حارة دون قصد فصوبت العيون عليّها، كان يجلس على جانبي السرير والدها (بطليموس الثاني عشر) وأمها تحمل أخوها الصغير ذو السبع سنوات، بعدما

بُهتت وجوههم من الصدمة، كان والد (كليوباترا) وأمها كلاهما من أب واحد، أحدهما من زوجة، والأخر من قبل رجل محظوظ، لذلك تحتوي شجرة عائلتها على عدد أقل من الفروع وبعضها غير معروف، انتبهت عندما تمتمت أمها باسمها بصوتٍ خافت:

- كليوباترا..

أشاحت بعينيها المليئة بالدموع وهي تتسأل:

- ماذا حدث يا أمي؟!

ابتلع بطليموس ريقه بصعوبة وهو يحاول جاهدًا خرق حنجرته بصوته دون حشرجة الحزن تلك، نظر إليها بقلب أب خائف على مشاعر ابنته البِكر التي تبلغ من العُمر خمسة عشر عامًا وبضعة أشهر فقط:

- للل...لقد مات الإسكندر..

ثم أجهش بالبكاء، الذي لم يستطع مدارته أكثر من ذلك، لكن ابنته كانت ذو فطنة رغم صغر سنها فكتمت شهقتها بوضع يدها على فمها، لكنها أثرت الفِهم قبل أن تُبدي أي ردة فعل لما يحدث:

- كيف حدث ذلك.. ألم يستخدموا الترياق لإحيائه مرة أخرى؟!

- لم يُجدي معه نفعًا.

أجابت والدتها بتهور مجتذبة أطراف الحديث إليها، لكن بطليموس حاول لملمة الكلمات في حلقه:

- لقد مات مسمومًا.

جثت على ركبتيها وقد انسابت الدموع على وجنتيها التي أصبحت مشربة بالحمرة، وبرغم ما حدث لمحت وُرَيقة صغيرة كانت مدفونة بين يدي والدها، ويضغط عليها بشدة، انتبه لها فحاول اخفائها، لكنّ الآوان قد فات، قامت كليوباترا بخفتها وجذبت الورقة من أبيها فهي تعلم أن كل ما حدث بالتأكيد مدون في تلك الورقة، ففتحتها وقبل أن تقرأها باغتها بطليموس قائلًا:

- قبل وفاته أعطاني الإسكندر تعليمات مفصلة عن وصيته و...

أشاحت بوجهها عنه وهي ترمقه بنظرة مليئة بالتعجب والاستنكار، قاطعته بصوتٍ مبحوح:

- وصيتي الأولى: أن لا يحمل نعشي عند الدفن إلا أطبائي ولا أحد غير أطبائي.. والوصية الثانية: أن ينثر على طريقي من مكان موتي حتى المقبرة قطع الذهب والفضة وأحجاري الكريمة التي جمعتها طيلة حياتي.. والوصية الأخيرة: حين ترفعوني على النعش أخرجوا يداي من الكفن وابقوها معلقتان للخارج وهما مفتوحتان.

حين فرغت كليوباترا من قراءة الوصية نظرت لأبيها نظرة مطولة ذات مغزى، فجذب يداها وقام بتقبيلهما وضمهما إلى صدره، ثم قال:

- ستكون تلك الوصايا قيد التنفيذ وبدون أي إخلال بها!

عقدت حاجبيها بشدة ومازال الدمع يلتع بمقلتيها:

- ما المغزى من وراء هذه الأمنيات الثلاث؟

أخذ بطليموس نفسًا عميقًا وأجاب:

- عندما سألته عن مخزى تلك الوصايا قال لي: «أريد أن أعطي العالم درسًا لم أفقهه إلا الآن، أما بخصوص الوصية الأولى فأردت أن يعرف الناس أن الموت إذا حضر لم ينفع في رده حتى الأطباء الذين نهرع إليهم إذا أصابنا أي مكروه، وأن الصحة والعمر ثروة لا يمنحهما أحد من البشر، وأما الوصية الثانية حتى يعلم الناس أن كل وقت قضيناه في جمع المال ليس إلا هباء منثورا، وأننا لن نأخذ معنا حتى فتات الذهب، وأما الوصية الأخيرة ليعلم الناس أننا قَدِمنا إلى هذه الدنيا فارغي الأيدي وسنخرج منها فارغي الأيدي كذلك.

بعدها عُقدت نظريات كثيرة على أن الإسكندر إما مات من الملاريا أو مات مسموما، كما تشمل التشخيصات الطبية غيرها من الأمراض غير المعدية، وهناك أدلة على أنه توفي من الملاريا، بعد أن انقلبت عليه قبل وفاته بأسبوعين خلال الإبحار في المستنقعات لتفقد دفاعات الفيضانات.

تراجعت بعدها الشكوك من احتمال حدوث تسمم في عدد من الجناة المزعومين، بما في ذلك واحدة من زوجات الإسكندر، جنرالاته، شقيقه غير الشرعي أو حامل الكأس الملكي.

زعم آخرون أن الإسكندر قد مات مسمومًا بالزرنيخ بواسطة أخاه الغير شرعي بطليموس الأول (سوتر)، ومع ذلك تم رفض هذا بواسطة المركز الوطني للسموم، وتم خفض احتمالية التسمم بالزرنيخ، وبدلًا من ذلك تم اقتراح أنه يمكن أن يكون تم تسميمه من قبل النبيذ المصنوع من نبات

الخربق، والمعروف باسم "الخربق الأبيض"، الذي يمكن أن ينتج أعراض تسمم طويلة تتطابق مع سير الأحداث.

تشمل الاقتراحات الأخرى التسمم بواسطة المشروبات التي كان يشربها الإسكندر في جرعات صغيرة بواسطة مؤرخه الملكي ومستشاره (كاليستنس).

وافتُرض كذلك أن وفاة الإسكندر له علاقة بأعراض جنفيه خلقية، كانت لديه تشوهات هيكلية في الرقبة والعجز وعصب العين، وهذا يمكن أن يتوافق مع أعراض (كليبل- فيل)، وهو مرض جنفي خلقي نادر له تشوهات جسدية، والأعراض التي سبقت وفاته هي التي تجعل الخبراء يعتقدون ذلك، يعتقد البعض أن ما جعله يسقط مريضًا في أيامه الأخيرة هو أنه كان يعاني من انضغاط الحبل الشوكي المتدرج فوق الجافية، الذي تركه مشلولا، لكن هذه الفرضية لا يمكن إثباتها دون إجراء تحليل كامل لجسده.

كانت وفاة مفاجئة في الثانية والثلاثين من عمره، لم يترُك وريثًا ظاهِرًا أو خليفة مُحدد، قاموا بعدها بمراسم الدفن التي تليق بملك من ملوك بابل العظيمة، وساروا في جنازته خلف حاملي النعش الذي كانوا يحملونه على أكتافهم، وبالطبع كانوا – من مظهرهم– أطباء كما ذَكرَ في وصيته، التي نفذوها كاملة، كان نعشه مكسو برايات مع الحرير المطرز وعمامته في نهاية واحدة، وأخرجوا كلتا يديه من الكفن وأبقوهما معلقتان للخارج ومفتوحتان، ويدسون بأقدامهم طوال طريقهم إلى المقبرة على قطع الذهب والفضة والأحجار الكريمة.

بعدها حدثت في وسطه اضطرابات وخِلافات شديدة بسبب من سيخلفه على عرش ملكه الشاسع، وقد تَبِع موتَه أربعون عامًا من الصِراعات المميتة، حيث تصارع القادة وأفراد عائلته على حُكم الأجزاء المختلفة من الإمبراطورية الواسِعة التي بناها.

وكان العُرف والقانون عند موت ملك مقدوني أن يولى الجيش بدلًا منه، ولم يكن الإسكندر قد ترك وارثًا لعرشه إلا طفلًا يُدعَى (هيراكليس) من حظِيَّته «بازين» وكانت زوجُهُ (روكزانا) الفارسية وقتئذ حاملًا ويُنتظر أن تضع حملها بعد ثلاثة أشهر، وعندئذ تعقدت الأحوال، وقد فكر رجال الجيش في وسط هذه البلبلة في أن ينتظروا ولادة (روكزانا)، غير أن رجال الجيش وعلى رأسهم (ميلاجر Meleagre) الذي كان يكره (برديكاس) قد عارض في أن يكون مليكهم امرأة آسيوية، ومن ثَم قامت الحرب بين برديكاس وبين ميلاجر وأتباعه، ولولا مهارة (إيمنيس) كاتم أسرار الإسكندر الذي توسط بين الطرفين ووصل إلى اتفاق لتفاقم الخطب.

وذلك أن الإسكندر الأكبر كان له وقتئذ أخ في بابل يُدعَى (أريداوس Arridaeus) ابن فليب، وكان بلغ حينها السن التي تؤهله لتولي عرش المُلك، غير أنه كان غير شرعي، وفي الوقت نفسه ضعيف العقل تنتابه نوبات صرع، ومع ذلك فإن الجيش فضَّله؛ لأنه ليس فيه دم شرقي، فقد كانت أمه (فيلينا Philinna) إحدى حظيات (فليب) وكانت أمها من أهالي تساليا، وقد اقترح برديكاس الذي يعد أكبر القواد مكانة

في جيش الإسكندر أن يُنتظر ولادة روكزانا، أما القائد ميلاجر فقد أراد أن ينتخب إما (أريداوس) أو (هيراكليس) إمبراطورًا، وكان من جهة أخرى (بطليموس بن لاجوس) لا يريد أن يحكمه ابن سفاح مخبول العقل مثل أريداوس ولا مثل هيراكليس، ولا المولود المنتظر، بل اقترح أن يترك العرش خاليًا، وأن يُعهد بحكومة الإمبراطورية لرؤساء الجيش كلٌّ في قطره، وذلك حسب اتفاق يبرم فيما بينهم، وقد كان رأي برديكاس هو الرأي السائد في المجلس العسكري الذي عُقد لهذا الغرض، غير أن المشاة في الجيش رفضوا رأيه، وعلى إثر ذلك نصب أريداوس الذي أسرع ميلاجر بإعلانه إمبراطورًا ومنحه كل حمايته، ومن ثَم قامت المناوشات بين الفريقين المختلفين في الرأي وانتهى الأمر بالمفاوضة والصلح، وقد كان بطليموس بن لاجوس يعمل وسيطًا على ما يُظن، وقد بذل كل ما في وسعه لحل جميع المشاكل، وقد كان مع برديكاس الذي حفظ له هذا الجميل، وتم الاتفاق على أن يكون أريداوس ملكًا باسم (فليب الرابع)، ولكن على شريطة أن يكون لابن روكزانا إذا كان ذكرًا الحق في الاشتراك في الملك معه، وقد ترك هذا الموضوع معلقًا حتى تضع روكزانا، أما برديكاس الذي قيل عنه إن الإسكندر عند مماته قد سلمه الخاتم الملكي فقد نصب بوصفه نائب الإمبراطورية وقائدها والمشرف على الملك أو على الملكين – بعد وضع روكزانا – اللذين خلفا الإسكندر في الإمبراطورية الشاسعة المترامية الأطراف.

وقد قُسمت الإمبراطورية بين عظماء القواد بإشراف برديكاس، فأعطى القائد بطليموس بن لاجوس شطربية مصر بالإضافة إلى الأجزاء المجاورة لبلاد العرب ولوبيا، على أن يكون (كليومنيس النقراشي) الذي كان قد نصبه الإسكندر وكيلًا له لجمع الضرائب في مصر وملاحظة أعمال البناء في الإسكندرية، غير أن بطليموس حينما نصب شطربة على مصر أراد أن يكون المسيطر الوحيد في شطربيته، وبعد تولي بطليموس على مصر غادر بابل غير أنه كان عليه أن ينتظر حتى تضع روكزانا مولودها الذي كان يأمل أن يشترك في حكم الإمبراطورية، وكان بطليموس يُعتبر وقتئذ تلميذ برديكاس.

وهكذا بدأت المدن الإغريقية بفقد استقلالها وتولى عليها حكام جدد بوصفها أجزاء من الضيعة العظيمة التي تركها الإسكندر دون وصية أوصاها.. وكل هؤلاء الحكام كانوا يُعَدون وكلاء يقومون بإدارة أجزاء إمبراطورية واحدة لا تتجزأ يحكمها جميعًا أريداوس، وكان أبرز الضباط الذين يتمتعون بسلطان مركزي يشمل كل الإمبراطورية اثنان وهما برديكاس ويحمل لقب "شيليارك Chiliark"، وهذا اللقب معناه على العموم «نائب» ثم (سيلوكوس) وكان يحمل لقب قائد "حرس الخيل"، ولم يكن يدور بخَلَد واحد من الحكام وقتئذ التحدث عن تقسيم الإمبراطورية.

لكن لم يمضِ الكثير حتى ظهر أن برديكاس أراد أن يستغل ضعف أريداوس، ومن ثم عزم على أن يجرده من كل سلطان ويجعله إمبراطورًا بالاسم وحسب، ويستولي لنفسه

على كل السلطة، غير أن حكام الأقاليم فطنوا لذلك وأخذوا يقاومون برديكاس وعلى أية حال فإن مصر كانت على ما يظهر بعيدة عن المخاوف؛ لأن برديكاس كان على مصافاة وود مع بطليموس، ولا نزاع في أنها كانت البلاد التي اختارها بطليموس لنفسه، فقد ذكر لنا في مذكراته التي خلفها لنا تفاصيل عن الحملة التي قام بها الإسكندر على مصر وعن الرحلة التي قام بها إلى واحة آمون، ومن ثَم يجوز أنه صحب الإسكندر في رحلته هذه، وكان موقع مصر –التي تبعد عن الإقليمين اللذين يمكن أن يكونا مركزًا لإمبراطورية الإسكندر– ملائمًا من الوجهة السياسية بالنسبة لبطليموس، ويقول المؤرخ (تارن):

«إنه لا بد كانت هناك مساومات بين برديكاس وبطليموس فكان ثمن اعتراف بطليموس في أن يكون برديكاس مشرفًا وحارسًا على الملك الجديد هو شطربية مصر، هذا بالإضافة إلى أن يكون أريداوس أحد المقدونيين هو الذي يقوم بمراقبة ترتيبات جنازة الإسكندر، والواقع أنه كان من جرَّاء إخلاص بطليموس لصديقه برديكاس، واتباع منهجه أن ضحى الأخير بصديقه الوفي (كليومنيس) الذي كان وقتئذ قد عُين شطربة على مصر قبل تولي بطليموس لهذا المنصب، وأصبح الأول وكيلًا في شطربية مصر».

والواقع أنه كان الحاكم المصري للديار المصرية وقتئذ، ولما تولى بطليموس حكم مصر كان لزامًا على كليومنيس أن يشغل المكانة الثانية في أرض الكنانة، وعلى إثر ذلك أصبح وكيل بطليموس، وكانت سياسة كليومنيس المالية في مصر قد أغضبت المصريين مما دعا بطليموس –بعبارة أدق– إلى

التخلص منه، وتدل الظواهر على أن بطليموس كان يحرص على إمارته على مصر أشد الحرص، ولذلك كان من حسن حظه أن الإسكندر الأكبر كان قد أوصى بأن يدفن جثمانه في معبد والده الإلهي (آمون) في واحة سيوة، والواقع على حسب ما جاء في «ديودور الصقلي» أنه كان ضمن القرارات التي قطع فيها رؤساء الجيش المقدوني برأيهم في بابل على إثر موت الإسكندر أن يدفن جثمانه في واحة سيوة بمعبد «آمون» ويعتبر هذا القرار أكبر برهان على أن الإسكندر كان يؤمن ببنوته الإلهية وتشبثه باعتقاده في نسبته للإله آمون حتى آخر أيام حياته بعد مماته، والواقع أنه كان يعتبر نفسه فرعونًا، وبعبارة أخرى أنه ابن الإله (رع) أو (آمون رع) أي إن مثله كان كمثل الفرعون يعتبر إلهًا يُعبد في حياته وبعد مماته.

وقد وكل بإعداد تجهيز موكب الاحتفال بنقله ودفنه إلى أريداوس أحد رؤساء رجال بلاطه في بابل وقتئذ، وكان أريداوس هذا قد كُلف بصنع عربة جنائزية كما كُلف بترتيب حفل منقطع النظير، ولقد كان من أكبر أماني بطليموس بن لاجوس بطبيعة الحال أن يُدفن الإسكندر في البلاد تحت إمرته حتى يكون ذلك سببًا في ازدياد نفوذه وقوته وتصبح إمارته محط أنظار العالم كله، على أن المكان الطبيعي لاحتواء رفات الإسكندر البطل العظيم كان إيجا في أرض وطن أسرة الإسكندر وقد كان من الجائز كما قيل إن هذا المكان هو المكان الأصلي لدفن جثمان الإسكندر لا واحة سيوة، وإنه لمن الصعب أن نصل إلى كنه الحقيقة، فهل أراد الإسكندر حقًّا أن يكون قبره في معبد والده (آمون)؟ وهل

كان هذا هو قرار مجلس بابل؟ وهل يمكننا من باب أولى أن نظن أن مقدونِيِّي الجيش كانوا يتوقعون أن يروا جثمان مليكهم يُحمل إلى إيجا ليُدفن في قبر أسرته؟ والواقع أن الإسكندر كان له مصلحة أكثر مما يمكن أن يتصور الناس فهمها في أن يطوى جثمانه في الواحة.

وعلى أية حال كان هذا الرأي في نهاية الأمر هو التصميم النهائي الذي ارتآه برديكاس أي دفْنه في واحة سيوة غير أن بطليموس حاكم دمشق قد سبق الحوادث وحوَّل مجرى الأمور، وذلك أنه عندما كان برديكاس في أسيا الصغرى يعمل على وفاق مع بطليموس ابن لاجوس قام من بابل موكب الجنازة في طريقه لمصر، وفي هذه الحالة إذا كان جثمان الإسكندر سيُحمل إلى سيوة فإنه كان على أية حال لا بد أن يمر أولًا بمدينة منف اللهم إذا كان الموكب سيذهب مُباشرةً من مرسى مطروح إلى سيوة، ومن الجائز أن أريداوس عندما غادر بابل قد عدل عن فكرة نقل الجثمان إلى واحة سيوة، وقد قابل بطليموس رفات الإسكندر وبصحبته حاشية من الجنود القوية وأخذ بزمام الموقف في يده، وعندما وصل الرفات إلى منف أبقاه فيها ولم يتجه به إلى سيوة، هذا ولا أحد يعلم حتى الآن ما إذا كان بطليموس قد قرر أن يكون مثوى رفات الإسكندر في الإسكندرية أم لا، وقد قص علينا المؤرخ (بوزانياس) أن رفات الإسكندر قد بقيت في منف إلى أن نقله بطليموس الثاني بعد تاريخ وصوله بأربعين سنة إلى الإسكندرية.

غير أن كلًّا من المؤرخين (ديودور الصقلي) و(إسترابون) يقولان: «أن بطليموس الأول هو الذي دُفِن الإسكندر الأكبر

في «سما Sama» بالإسكندرية حيث كانت لا تزال رفاته موجودة حتى عهد الرومان، والمعتقد أن بطليموس الأول دفن الإسكندر في مدينة منف العاصمة الدينية للبلاد في هذا العهد وهي التي توج الإسكندر فرعونًا على مصر وأصبح بعد ذلك يُدعَى ابن (رع) أو ابن (آمون رع)، هذا بالإضافة إلى أن منف كانت المدينة الدينية التي يُتوَّج فيها كل ملوك مصر منذ فجر التاريخ، ولذلك كان دفْن الإسكندر فيها يعد من الأمور البالغة الأهمية عند بطليموس الأول وقتئذ، وذلك لأن وجود جثمان الإسكندر الأكبر فرعون مصر في منف بالذات كان له أهمية بالغة؛ لأنها كانت تعتبر واسطة العِقد بالنسبة للملكة المصرية مما زاد في قوة بطليموس في أعين حكام الإمبراطورية المقدونية، كما عظم من نفوذه في أعين الشعب المصري، ومن الجائز كذلك أن جثمان الإسكندر قد نُقل إلى الإسكندرية بعد أن أخذت هذه المدينة تنمو وتعمر بالسكان، وكذلك بعد أن أقام بطليموس مدفنًا يتفق مع عظمة الإسكندر ومكانته العالمية في عاصمة ملكه الجديدة».

غير أن المؤرخ (بوزانياس) قد قرر بصورة قاطعة أن نقل بطليموس الثاني لجثمان الإسكندر من منف إلى الإسكندرية يعد من المساوئ التي ارتكبها في حياته، ومهما يكن من أمر فإن هناك حقيقة ثابتة وهي أنه كانت تقام شعائر دينية للإسكندر على حسب المراسيم المصرية القديمة في منف، وكان للإسكندر كاهن روح خاص به كما كان للفراعنة القدامى، وتدل شواهد الأحوال على أن شرف القيام بوظيفة كاهن الإسكندر أُسندت لأخ الملك المسمى (منلاوس) وإن

كان ذلك لم يُذكر صراحة، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في وثيقتين فقط.

*****

وظلت أسرة بطليموس تحكم مصر حتى حكمها (بطليموس الثاني عشر) وهو ابن غير شرعي لبطليموس التاسع تولى الحكم عام 80 ق.م بعد مقتل بطليموس الحادي عشر ولقب بالزَّمَّار وكان لقبه الرسمي «ديونيسيوس الصغير» وتزوج كليوباترا السادسة.

في عام 58 ق.م أعلن مجلس الشيوخ في روما ضم قبرص إليها وتحويلها إلى ولاية رومانية بعد أن كانت خاضعة لمصر، وقف «بطليموس الثاني عشر» موقفًا سلبيًا أدى إلى ثورة أهالي الإسكندرية ضده فلم يجد أمامه إلا الفرار إلى روما وظل هناك إلى سنة 55 ق. م.

ازداد نفوذ روما على مصر وفي سنة 59 ق.م كان في ذلك الوقت (يوليوس قيصر) زعيم حزب كبير، وكان قنصلًا في روما، وكانت مسألة ضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية ضمن برنامجه السياسي، وسعى بطليموس الثاني عشر لأن يثني يوليوس قيصر عن خطته نحو مصر ودفع نظير ذلك 6000 تالنتوم وهو نصف دخل مصر، وبذلك أعلن قيصر اعتراف روما بالزَّمَّار ملكًا على مصر. ومات سنه 51 ق.م.

انتقل العرش إلى ابنه الصغير (بطليموس الثالث عشر)، وابنته (كليوباترا السابعة)، وقد وصُفت بأنها كانت جميلة وساحرة على نقيض ما تبرزها الصور التي وصلت إلينا، أما

الرجال الذين وقعوا في غرامها فقد أسرتهم بشخصيتها القوية الظريفة وبذكائها ودهائها.

ومن المعروف أن كليوباترا ابنة الـ 18 عامًا كانت تكبر شقيقها بنحو ثماني سنوات، فأصبحت هي الحاكم المهيمن.

أدركت كليوباترا أنها بحاجة لدعم الرومان لها، أو بشكل أكثر تحديدًا دعم يوليوس قيصر، إذا كان عليها استعادة العرش.

وعُرفت – كونها إحدى ملكات مصر العظيمات – بسلسلة علاقاتها العاطفية، التي هدفت من ورائها للحفاظ على استقلال مصر عن الإمبراطورية الرومانية، كانت الوحيدة التي تعلمت لغة المصريين بين الحكام البطالمة، دعمت اقتصاد مصر بالتجارة مع بلاد الشرق فساعد هذا على تقوية وضع مصر في العالم القديم مما جلب السلام للبلاد بعد أن أضعفتها الحروب الداخلية، وكانت محبوبة جدًا من شعبها.

وقد كانت ملكة موهوبة، فقد تحدثت بعدة لغات، وقادت الجيوش في سن الواحد والعشرين، وتعلمت في منارة العلم في عصرها، الإسكندرية. وقد عملت على استرداد أمجاد أسرتها الحاكمة، وتمكنت من بسط الاستقرار والسلام في البلاد أثناء فترة حكمها، ومكافحة الفساد، كما شُهد لها بفتح مخازن الحبوب لشعبها أثناء فترة المجاعات ورفع الضرائب عنهم. فكانت مصر حينها دولة مزدهرة، تحت حكم ملكة لم يرى الشعب في جنسها عيبًا، فما شغله إلا حسن إدارتها للبلاد.

وصِفت كليوباترا بأنها أثرت بنشاط في السياسة الرومانية في فترة حرجة، كما وصفت بأنها جاءت لتمثل، كما لم تفعل أي امرأة أخرى من العصور القديمة، النموذج الأول لرومانسية المرأة الفاتنة.

كان قد قُدر لكليوباترا في أن تصبح آخر ملكة للسلالة البطلمية التي حكمت مصر بعد موت الإسكندر الأكبر وضمها إلى روما في 30 قبل الميلاد، ولأسباب سياسية أطلقت علي نفسها لقب «إيزيس الجديدة» وهو لقب ميزها عن الملكة كليوباترا الثالثة، والتي زعمت أيضا أنها تجسيد حي للآلهة ايزيس، ما يعكس مدى ذكائها السياسي وجديتها في أن تحكم مصر بنجاح.

وقع الملك بطليموس الثالث عشر تحت تأثير مستشاريه الذين عملوا على إبعاد كليوباترا وطردها من الإسكندرية للانفراد بالسلطة، فلجأت إلى شرقي مصر واستطاعت تجنيد جيش من البدو لاستعادة موقعها.

عند وصولها إلى بيلوزيوم (بورسعيد حاليا) حيث كان يتصدى لها جيش أخيها، وصلت سفينة القائد الروماني (بومبي Pompeius) على إثر هزيمته في معركة فرسالوس 48 ق.م، فما كان من أوصياء الملك الاّ أن دبّروا مقتله، وقدّموا رأسه إلى القائد المنتصر يوليوس قيصر، الذي وصل الإسكندرية في 2 أكتوبر عام 48 ق.م.

وقد نجحت كليوباترا في اختراق صفوف خصومها بعد أن حاول أخوها بطليموس الثالث عشر التقرب إلى القيصر حيث وجدها فرصة لإعلان ولائه الكامل، وعمل قدر طاقته

على تملّقه والتقرب إليه، وبفعل ذلك أمل أن يحظى بدعم الرومان للانفراد بعرض مصر.

إلا أنه تبين لبطليموس أنه أخطأ في حساباته، واستدعى قيصر كلًا من بطليموس وكليوباترا إلى الإسكندرية، وأعلن دعمه للملكية، أثناء ذلك الوقت كان لشعب الإسكندرية ملكة أخرى في أذهانهم، ومع حبس قيصر وكليوباترا في القصر الملكي، أعلن الشعب السكندري الأخت الملكية الصغرى (أرسينو الرابعة) ملكة لمصر.

أمضت كليوباترا ويوليوس قيصر شتاءً طويلًا محبوسين في قصر الإسكندرية، ولم تأتي التعزيزات الرومانية إلا بحلول مارس عام 47 قبل الميلاد، والتي صار فيها يوليوس وكليوباترا حلفاءً سياسيين ومحبين، وعند تحرير قيصر، هرب بطليموس الثالث عشر وغرق في نهر النيل، بينما أُسرت أرسينو الرابعة، الملكة التي حكمت وعاشت لفترة قصيرة من الزمن، وأُخذت إلى روما.

وقد أُعيدت كليوباترا –التي صارت أرملة– إلى عرشها بكامل الدعم الروماني، وتزوجت أخاها بطليموس الرابع عشر، الذي كان يبلغ من العمر حينها إحدى عشر عامًا، وقد حملت العروسة.

وفي نفس العام ولدت كليوباترا ابنًا سمته بطليموس قيصر، الذي عُرف (بقيصريون) نسبةً لوالده، أما قيصر الذي كان متزوجًا في الأصل من زوجة رومانية، كان غير قادر على الاعتراف بابنه المصري بشكلٍ رسمي، ولكن قبل مقتله سعى لتمرير تشريع في روما يعطي له الحق بالزواج من

امرأة ثانية ومنح الشرعية القانونية لطفلٍ وُلد في أراضٍ أجنبية.

كانت العلاقة بين قيصر وكليوباترا أبعد ما تكون عن مجرد شغف عاطفي متهور، فقد كان الطرفان سياسيين مخضرمين، ولم يكن لأحدهما بأي شكل من الأشكال أن يُعتبر ساذجًا، وقد قوت وحدتهما الجسدية تحالفهما السياسي، وكان له مدلول سياسي مثالي.

كانت ستظل مصر مستقلة، إلا أنها وقعت تحت حماية روما، وكانت روما ستستفيد من كرم مصر بكونها أخصب أراضي العالم.

ربطت اهتماماتهما المشتركة –الطموح والطفل المشترك بالطبع– بينهما البعض؛ وقد رأى الطرفان فوائد إبقاء مصر مستقلة لقيصريون كي يرثها، وبثقته في ولائها لابنها إن لم يكن ولائها له، استكمل قيصر مسيرة تشجيع كليوباترا على أنها حاكمة مصر الحقيقية، حتى حين غادر بنفسه البلاد.

حازَ بعدها قيصر على النصر في روما في عام 46 ق. م، نصرًا أردى الملكة المخلوعة أرسينو مقيدة في السلاسل أمام الشعب الروماني، وقد اتبعت كليوباترا ومعها بطليموس الرابع عشر قيصر إلى روما، وبقيا هناك لنحو عامٍ على نفقة قيصر الخاصة، وقد كانا حاضرين ليشهدوا منح قيصر لكليوباترا تمثالًا ذهبيًا في معبد فينوس جينتريكس.

وقد عادا إلى مصر فقط عند مقتل قيصر في الخامس عشر من مارس عام 44 ق.م، ومات بطليموس الرابع عشر فور

عودته إلى مصر، وليس من الأكيد إن كان موته بفعل حادث أم تخطيط.

ومع عدم وجود أي وريث ذكر أخر للعرش صار قيصريون البالغ من العمر ثلاث سنوات هو بطليموس الخامس عشر، وتفردت كليوباترا بمقاليد الأمور.

وبموت قيصر، انطلق الثلاثي (مارك أنتوني) و(أوكتافيان) و(ماركوس ليبيدوس) للقبض على من اغتاله، (بروتوس) و(كاسيوس)، كانت روما تنوي على انتقام عام، وقد دُعيت مصر كي تقدم المساعدة، وكان ذلك الأمر شديد الأهمية بالنسبة لكليوباترا، وقد انشقت حاكمة قبرص وأخذت طرف القتلة، وقررت أن تعيد أختها أرسينو، التي نالت حريتها من جديد وتعيش في أفسس، لحكم مصر، وأثناء حياتها كانت أرسينو ستصبح تهديدًا مستمرًا لكليوباترا، فلم تكن مفاجأة كبيرة أن تُغتال بأمر أختها في عام 40 قبل الميلاد.

اتخذت كليوباترا قرارًا حكيمًا بالتحالف مع الثلاثي، وقد رفعت أسطولًا للإبحار نحو أوكتافيان ومارك أنتوني، إلا أن سفنها قد دمرها الإعصار، وأثناء انتظارها لتجهيز الأسطول الثاني، جاءت الأخبار بهزيمة القتلة، وقد تولى الحكم رجلان، حيث حكم الإمبراطورية الغربية أوكتافيان (الوريث الشرعي لقيصر)، وحكم مارك أنتوني الإمبراطورية الشرقية، وقد احتاجت كليوباترا –التي كانت شديدة الضعف في مصر– لمن يحميها، ولأول مرة خانتها غريزتها واتخذت القرار الخطأ، فقد قررت التحالف مع مارك أنتوني.

بعد اغتيال قيصر في روما ذلك انقسمت المملكة بين أعظم قواده اكتافيوس وانطونيوس فقرر اكتافيوس أن يضم مصر إلى الإمبراطورية الرومانية، لكن كان أمامه الكثير من العواقب، ومن أشدها مارك أنتوني الذي أراد في أن ينفرد بحكم الإمبراطورية الرومانية، ومن ثم فكرت كليوباترا أن تصبح زوجة لمارك الذي قد يحكم في يوم ما الإمبراطورية الرومانية.

حيث جاء إلى مصر وجاءت له كليوباترا خفية؛ لخوفها من ثورات المصريين ضدها وكانت مختبأه في سجادة وخرجت منها أمام انتوني كعروس البحر وهي في أبهي صورها ووقع انتوني في حبها.

كان مارك انتوني متزوجًا من أوكتافيا أخت أوكتافيوس(أغسطس) ومنع على الرومان التزوج بغير رومانية وهنا ظهرت مشكله ارتباطه بكليوباترا وأصبح حليفًا لها بدل من أن يضم مصر للإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك سببًا في العداوة بين أغسطس وأنطونيوس؛ لأن أوكتافيا كانت أخت أغسطس تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شرق وغرب، وكان الشرق بما فيه مصر من نصيب انطونيوس، وكان طبيعيًا أن تصبح كليوباترا تحت سلطة السيد الجديد انطونيوس، فلتحاربه بسلاح الحب والجمال، ولم تنتظر حتى يأتي إليها في الإسكندرية، ولكنها أبحرت على متن سفينة فرعونية ذهبية مترفة من الشواطئ المصرية، وكان أنطونيوس قد أرسل في طلبها عام 41 ق.م عندما

وصل إلى مدينة ترسوس في كيليكية، وذلك ليحاسبها على موقفها المتردد وعدم دعمها لأنصار يوليوس قيصر.

أعجبت كليوبترا بأنطونيوس ليس فقط لشكله حيث كان وسيمًا –على حد قول المؤرخين– لكن أيضا لذكائه؛ لأن كل التوقعات في هذا الوقت كانت تؤكد فوز انطونيوس.

فكليوباترا مازالت شابة، ولم يكن لديها سبب لافتراض أن طرقها لن تنجح مجددًا، وقد قررت إعادة التاريخ، وقد غُوي أنتوني، والذي كان أقل ذكاءً وخبرة من قيصر، بسحرها، وفي عام 40 قبل الميلاد أنجبت كليوباترا توءميه، وهما (كليوباترا سيلين) و(ألكسندر هليوس) وبوقت ميلادهما كان أنتوني قد عاد لروما، حيث كان سيتزوج من أوكتافيا، أخت حليفته وعدوه اللدود أوكتافيان.

لم يكن لروما إلا أن يحكمها حاكم واحد حينها، وقد تدهورت العلاقة بين أوكتافيان وأنتوني، وبالتالي بين أوكتافيا وزوجها الجديد، سريعًا. وفي عام 37 قبل الميلاد غادر أنتوني روما إلى أنطاكية بسوريا، حيث أرسل لكليوباترا، وقد وضعا معًا خطة كُبرى لتحالف شرقي يرد لمصر بعضًا من مجدها السابق، وبفضل أنتوني استعادت مصر بعضًا من أراضيها الشرقية المفقودة.

ولسوء الحظ كانت حملة أنتوني البارثية – الخطوة الأولى نحو تقوية التحالف الشرقي – كارثة ماحقة، فبدلًا من حيازة أراضٍ جديدة، أُجبر أنتوني من خلال زوجته المنفصلة، على

أن يتوسل أوكتافيان لمزيد من القوات، وقُدم لأنتوني 2000 جندي، وهو رقم يبعث على السخرية، وقُلل من عددهم أيضًا، وانهارت العلاقات بين كلًا منهما، وقد أعاد نصر أنتوني –اللاحقي في أرمنيا– بعضًا من ماء وجهه، وقد كانت هناك احتفالات مكثفة في الإسكندرية، حيث جلس أنتوني على العرش وتباهى بأبنائه من كليوباترا، كملوك لأراضي روما ومصر المحتلة، ولم يكن لشيءٍ أن يثير استياء أوكتفيان وأوكتافيا أكثر من ذلك.

وفي عام 32 قبل الميلاد، طُلقت أوكتفيا، وصار أنتوني وكليوباترا زوجين رسميين، ولكن أثناء تمتع المحبين بجولة ممتدة في البحر المتوسط الشرقي، كان أوكتافيان يتحضر للحرب.

فجرت معركة في عام 31 ق.م، تُدعى "معركة أكتيوم البحرية" الفاصلة غربي اليونان وقررت مصير الحرب، وكانت معركة أكتيوم نصرًا لأوكتافيان، وأُجبر أنتوني على الهروب بينما عادت كليوباترا إلى الإسكندرية، وبدأت في جمع قواتها، وحين انضم أنتوني لها بعد عدة أسابيع، حوصر الاثنين بشكلٍ فعال.

خسر أنطونيوس كثيرًا من سفنه في محاولته كسر الحصار الذي ضُرب حوله، وتسارعت الأحداث وعملت كليوباترا كل ما في وسعها لتفادي الكارثة بعد وصول أنباء الهزيمة إلى مصر، وتم تجاهل عرض كليوباترا بالتخلي عن العرش لأولادها، وبينما كان أنتوني يستعد لخوض معركته الأخيرة، بمحاولة يائسة للتصدي لقوات أوكتافيانوس، قيصر روما

الجديد، التي وصلت إلى مشارف الإسكندرية في صيف عام 30 ق.م، تحصنت كليوباترا في ضريح استُخدم أيضًا كخزينتها، وحين تلقى أنتوني خبر انتحار كليوباترا، ألقى بنفسه على سيفه، إلا أن خبر موت كليوباترا كان غير صحيح، وأُخذ أنتوني الذي كان يحتضر حينها إلى الإسكندرية، وسُحب لأعلى حائط الضريح، كي يتمكن من الموت بين أذرع كليوباترا.

في فجر أحد أيام منتصف أغسطس 30 ق.م، قدم أحد خدام الملكة كليوباترا ثعبان الكوبرا –يرجح أنها كوبرا مصرية– وسيلة انتحارها بعد أن سمعت بهزيمة زوجها القائد الروماني مارك أنطونيوس في الحرب، كان ثعبان الكوبرا السامة قد ظل شعار للملكية في العصر البطلمى تعلو هامات الملوك، وقد كانت الكتف الملكية اليسرى هي التي تلقت اللدغة الأولى القاتلة.

انتحرت كليوباترا في حالة اليأس هذه، وكان الغازي الجديد أوكتافيوس قيصر يأمل أن تسير الملكة التي تحكم مصر في موكب نصرته في روما، ولكنه سرعان ما وارى جثمانها وأتجه لتنظيم الحكومة، فأعلن ضمه مصر لسلطان الشعب الروماني، وجاء إعلانه في جملة قصيرة للغاية لا تضم أكثر من خمس كلمات.

عاش أطفال كليوباترا الأربعة من بعد أمهم، وقد صار ابنها الأكبر قيصريون نظريًا الملك الأوحد لمصر، إلا أن ابن قيصر شكل خطرًا داهمًا للرومانيين، وقد قُبض عليه وهو يهرب من مصر وأعدمه أوكتافيان خشية أن يطالب

بالإمبراطورية الرومانية كوريث ليوليوس قيصر وولي عهده، أما بقية الأطفال فقد أُخذوا إلى روما حيث عُرضوا في البداية في استعراض عام مشين، ثم أُعطوا لأوكتافيا، زوجة مارك أنتوني الرابعة، كي تربيهم.

وفي عام 20 قبل الميلاد، تزوجت كليوباترا سيلين من أمير نوميديان جوبا الثاني؛ وأنجبت منه ابنًا يُدعى، بالطبع (بطليموس) قبل أن تموت بشكلٍ طبيعي في غموض نسبي، أما أشقاؤها ألكسندر وبطليموس فيلاديلفوس فقد أُرسلوا للعيش بعيدًا عن طريق الأذى مع أختهم المتزوجة، وفي موريطنية حققوا ما لم يقدر عليه أي فرد من أسرتهم بعيدًا تمامًا عن الأضواء السياسية، أما الأمير الصغير بطليموس، فلم يكن محظوظًا للغاية، فبعد أن ورث عرش أبيه، أُعدم على يد الإمبراطور الروماني كاليجولا في عام 40 بعد الميلاد.

كانت كليوباترا السابعة آخر حكام البطالمة في مصر، وقد تفوقت على من سبقوها في الذكاء والحصافة والطموح، واعتلت العرش وحكمت مصر لعشرين عامًا (من عام 51 إلى عام 30 ق.م)، وظهرت صورة كليوباترا في العملة المصرية القديمة كامرأة ذات طلعة بهية مفعمة بالحيوية بفم رقيق وعينان صافيتان.

ويسجل المؤرخ اليوناني كاسيوس ديو وفاتها قائلًا: «لم يعرف أحد على وجه اليقين كيف ماتت، فقد وجدوا فقط ثقوبًا صغيرة في ذراعها، وقد افترض البعض أنها جلبت أفعى صغيرة سامة لنفسها».

نفى البروفسور كرستوف شايفر (أستاذ التاريخ في جامعة ترير غرب ألمانيا)واقعة وفاة كليوباترا بلدغة ثعبان الكوبرا ورجح أنها ماتت لشربها توليفة أو كوكتيلات من العقاقير واستند بما ذهب إلى أن لدغة الأفعى كانت ستعرض كليوباترا لألم شديد ومبرح وطويل قبل الوفاة بجانب التشويه الجسدي الذي كان سيلحق بها وهي المرأة الجميلة والمعتزة جدًا بجمالها.

يُعتقد أن انتحار كليوباترا جاء عقب انتحار ماركوس أنطونيوس بفترة قصيرة، وقد كتب المؤرخ القديم "بلوترك" أنهما دُفنا بأسلوب ملكي رائع في قبر بالقرب من الإسكندرية، ويعتقد البعض أن الضريح أصبح في أعماق البحر بعد الزلزال الرابع في القرن الثامن حيث تغيرت تضاريس الإسكندرية، في حين أن يدعي البعض الآخر أن الزوجين قد دفنا بالقرب من تابوزيريس ماجنا وهو معبد قديم يحوي على العشرات من القبور والمومياوات.

كتبت كليوباترا أسطورتها بنفسها، اقتداءً بما قامت به كليوباترا الثالثة من استغلال معتقد الأم الإلهة إيزيس لتقوية حكمها كإلهة حية.

بعد هزيمتها انتهى عصر البطالمة في مصر وبدأ حكم الرومان الذي استمر حتى هزمهم المسلمون ودخول عمرو بن العاص مصر، وحكمها نيابة عن الخليفة عمر بن الخطاب.

تمت

11/9/2021